

رحلة طائر

- ١ -

للساعر الأستاذ فايز العمروسي

«ملحمة شعرية في عشرين نشيدا ، ترمز إلى رحلة خيالية ، قام بها طائر حين أشرقت شمس ، ساجدا في فضاء الوجود يتحسس في دياجير رحلته جوانب شتى من جوانب الحياة ، متطلعا إلى الطبيعة الحية في كثير من ألوانها وضروبها ، والطائر في رحلته ، من شمس إلى فجره ، شاعر في حياته النفسية ، وأحاسيسه الوجدانية ، في عهد من عهوده ، مبدؤه هذه الشمس ، ونهايته ذلك الظلام»

في الصباح

راح يسعى بجده المتوالى دائم الكد ، مستمر النضال
يبتغي العيش في جهاد عنيف بين روض الربا وقفر الرمال
كل حي يدب فوق ثراها ويلاقى صعابها لا يبالى
تسأم الأرض من خطاه وتسلو وهو فيها متم ، غير سال
شأن كل ، يرى الحياة جهادا فيضحى لحبها كل غال

طالع الشمس في بكور وأمضى شعلة الضوء طائفا كالخيال
يهبط السهل بين حين ، وآنا يعتلي الجو ضارباً في التلال

يلقط الحب من ثراه ويجرى وهو قاس على البثرى في النزال
ويرود الأزهار، يحسوها لها فيروى صدها عذب الزلال

ويجوب البحار فوق مياه لامعات كلؤلؤ سلسال
وهو في ذلك الفضاء طليق يرسل الصبح بين ريح الشمال
بين سرب الطيور وهي شواد في فسيح الأرجاء مرحى سوالي
يعتلين الغصون أنا ، وأنا يفترشن الكروم تحت الظلال
تجتنى كل ماتحب وتهوى لاتنى عن محرم أو حلال
ليس تدري من الزمان اعتسافاً أو تبالي بمحادثات الليالي
كل شيء ترومه مستباح كان بالأرض، أو بمن الجبال
ذاك سر وحكمة تتجلى تخلق الطير بين وادى الجمال

في الغروب

ومضت جذوة النهار سراعاً وبدأ الأفق في ثياب الحياء
بينما الشمس قد توارت يئوساً كمحب منى بحر الجفاء
فل منها الشعاع يخبو رويداً كسقيم أضناه مر الدواء
وتمشى الشعاع فوق الروابي وترامى على ضفاف الماء
وسرى فوق مته يتهدى في دلال وروعة وبهاء
وهفا بالرياض شدو وديع ناعم اللحن في رقيق الغناء

نَغَمَاتُ كخِطَرَةِ الشَّعْرِ تَسْمُو فِي خُلُودِ بَمَرْتَقَى الْعُلْيَاءِ
 بَيْنَ هَذَا الرِّوَاءِ وَالشَّمْسِ كَالْقَمَرِ مِثْلُ آبِ الْجَرِيحِ، الْمَرِيْقِ حُرَّ الدَّمَاءِ
 رَاحَ كُلُّ الْأَنَامِ يَسْعَوْنَ جَهْدًا حَيْثُ يَرْجُونَ رَاحَةً مِنْ عَنَاءِ
 وَعَنَاءِ النَّهَارِ جَدُّ أَلِيمٍ يَزْحَمُ النَّفْسَ مِنْ ضُرُوبِ الشَّقَاءِ
 فَجَمْعُ الطَّيُورِ فِي الْجَوِ تَسْرَى لَتَرُودَ الْوَكُورَ قَبْلَ الْمَسَاءِ
 وَعَمِيُونَ الْحَيَاةَ أَسْبَلَتْ الْجَنَفَ مِثْلُ نَارِ، وَأَبَدَتْ طَلَائِعَ الْإِصْغَاءِ
 كُلُّ خَلْقٍ سَرَى لِمَاوَى حَوَاهُ فِي هَدْوٍ وَغَبْطَةٍ وَهَنَاءِ
 وَمَضَى كُلُّ سَائِرٍ، ثُمَّ آوَى كُلُّ حَيٍّ يَحْتَثُّ فِي الْأَنْزَوَاءِ
 فَتَرَى كُلَّ كَائِنٍ قَدْ تَوَارَى فِي حِمَاهُ، وَجَدَّ فِي الْإِخْتِفَاءِ

فِي اللَّيْلِ

طَبَّقَ الْأَفَقَ هَجْمَةً مِنْ ظِلَامٍ جَعَلَتْهُ مَغْبَرًا الْأَرْجَاءِ
 وَتَرَاءَى الظَّلَامُ يَبْدُو كَقَبْرِ أَشْعَثَ الْوَجْهَ قَاتِمِ الْأَنْجَاءِ
 فِي سَكُونٍ بِخَفَقِهِ رَهَبَاتٍ تُنْذِرُ الْكَوْنَ بِالْبَلَى وَالْفَنَاءِ

رَفَرَفَ الطَّائِرُ الْغَرِيبُ جَنَاحًا مِثْلُ يَدٍ وَجَدَّ الْمَسِيرَ فِي الْإِبْطَاءِ
 هَالَهُ الْبَعْدُ عَنْ أَلْفِ حَنُونٍ وَصَغَارَ لَهْنُ حَسَنِ الرِّوَاءِ
 فَانْبَرَى يَقْطَعُ الطَّرِيقَ بِلَهْفٍ يَبْتَغِي الْعِشَّ تَحْتَ ظِلِّ الرِّجَاءِ
 فِي فُضَاءٍ بِحَوْفِهِ خَفَقَاتٌ تُشْعَلُ الْبَرْقُ فِي أَدِيمِ السَّمَاءِ
 وَخِلَاءٌ مُفَرَّقٌ مَتَرَامٍ تُصْفَرُ الرِّيحُ فِيهِ بِالْأَنْوَاءِ

وظلامٍ يَجَنُّ فيه ظلاماً حير الطير في جحيم البلاء

وسرى في ظلامه ينهبُ الجوِّ ويمضي كالسهم في الظلمات
ليس يدري لعشه كان يسرى أم لحطف مسدد الطغيات
كلها حطَّ فوق نجد رفيع يتردى بباطن الحفريات
أو رأى التلَّ يعتليه صعوداً صدمته شدائد العثرات
تترأى له قباب الروابي كأعلى الأشجار في الجنات
فيجد السرى إليها فيلقا م ها صخوراً من الحصى باليات
في الروض

وإذا حطَّ بين أشجار روض يتغنى فيه مكننا لليات
أقلق الطير في حماها فهبت في ضجيج مروّع الصرخات
ظننت الروض قددهته العوادي وأحاطت به جيوش الطغاة
فتعالى الصراخ في كل عش كصراخ الأطفال في الفزعات
ثم هبت تردّ ذاك المعنادي في نواح كما تم النائمات
حز وجه الغصون لطم جناح بجناح يزيد في الضربات
بين قرع وضجة ونحيب واضطراب بأغصن الشجرات
فتخلّى الغريب عن أرض قوم لم يُصادف بها سوى الصدمات
وتخلّى ، وقلبه في خفوق وتولّى يشن في حشرات

فايز الميموني
المدرس بالناصرة

لها بقية ستنشر تباعاً في الأعداد القادمة